سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

— ١ —

تاريخ سفره — الطريق التي سار فيها :

من الموضوعات التي لم يتفق فيها مؤرخو الفتوح الطريق التي سار فيها خالد في سفره من العراق الى الشام ، وكذلك وقت سفره .

وفي رواية للمدائني [١] ان خالداً شخص في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ، وأيد البلاذري هذه الرواية ولعله أخذها من المدائني على عادته . وما عدا هذه الرواية فلم يذكر الاخباريون القدماء ولا المؤرخون من بعدهم التاريخ الذي ترك فيه خالد العراق وذهب الى الشام ملبياً أمر الخليفة ابي بكر .

وكذلك اختلف المؤرخون في ذكر الحوادث التي سبقت سفر خالد وما وقع له في سفره . وقد خلطوا بعض فتوحات خالد في العراق قبل سفره بوقائع زعموا أنها وقعت في طريقه الى الشام ، كما ان بعضهم قدم تاريخ فتوحات خالد في الشام وزعم أنها جرت قبل فتح بُصرى . وعلى الرغم من كثرة الأخبار واسهاب الاخباريين في شرح الحوادث فان الباحث لا يظفر في بحثه بما يشفي غليله . ومن الروايات ما جعلت خالداً في سفرته تلك يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، فيسير غرباً ثم يغير اتجاهه فيسير شرقاً ، ثم يعود فيعرج الى الجنوبي الغربي . وفي بعض الروايات ان خالداً قطع البادية بطريق يبلغ ستمائة كيلو متر وأكثر ، ليس فيه مياه الا في محلات محدودة .

---

(١) الطبري ، الجزء (٢) ص (٦٠١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما المفازة التي قيل ان خالداً فوّز منها فلم يثبت الرواة مبدأها ومنتهاها ، واكتفوا بالقول انها بين (قُراقر وسُوى) ؛ ولم يذكروا بالضبط أين يقع هذان المحلان . وكانت كتب البلدان ومعاجمها خالية من الايضاح واكتفت بالقول ان قراقر ماء للقبيلة الفلانية وسُوى ماء لقبيلة أخرى .

وقد حاول الباحثون من علماء المشرقيات ان يميطوا اللثام عن هذا الغموض ولكنهم لم يتوصلوا الى ما يطمئن اليه البال ، واكتفى بعضهم بنقل الروايات كما جاءت وترجيح بعضها على البعض الآخر ، فظل موقعا قراقر وسوى مجهولين لديهم الى ان ثبت الرحالة الشكوسلوفاكي (لويس موسيل) محلها على الخريطة التي رسمها في رحلاته العديدة قبل الحرب العامة الأولى وفي أثنائها في شمالي جزيرة العرب . والغريب ان (كايتاني) المستشرق الايطالي صاحب الباع في تاريخ الاسلام جعل موقع سوى على الفرات وزعم ان المفازة التي أشار اليها المؤرخون الأقدمون واقعة بين الفرات ومدينة الرصافة في الجزيرة وذكر في بحثه المطول ان خالداً سلك طريق الفرات من الحيرة الى الرصافة ومنها توجه الى الشام بطريق تدمر .

وكذلك (دي خويه) المستعرب الهولندي وهو أحسن من كتب في فتح الشام ذكر في مذكرته عن فتوح الشام ان خالداً سلك طريق تدمر في سفرته الى الشام . وسيتضح لنا من ذكر الروايات المختلفة الباحثة في سفر خالد ومقارنتها وتنقيح ما ورد فيها من خلط للوقائع ، انه لا يعقل ان يختار خالد تلك الطريق الطويلة ويعرض نفسه للمسالح التي أقامها الروم للدفاع عن أملاكهم من غزوات العرب وكان أهلها من العرب المتنصرة يحمونها . ولا سيما ان بعض الروايات أكدت ان ابا بكر أرسل خالداً نجدةً لجند المسلمين في الشام وحثه على السير بسرعة .

ونذكر الآن الروايات الواردة في هذا الصدد وسنقدم الأقدم فالأقدم منها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ — رواية موسى بن عقبة [١] :

« كتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وكان قد فرغ من أمر اليمامة يأمره بالمسير الى الشام . فمضى على وجهه وسلك على عين التمر ، فمر بدومة الجندل ، فأغار عليها وسبى ابنة الجودري ثم مضى حتى قدم الشام » .

٢ — رواية ابن اسحق وقد ذكرها الطبري في حوادث سنة ثلاث عشرة هجرية [٢] :

« كتب ابو بكر الى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ..... ونزل في طريقه على عين التمر وفتحها ... »

وقال : « ثم أراد خالد السير مفوزاً من قراقر وهو ماء لكلب الى سوى وهو ماء لبهراء ، بينهما خمس ليال ، فلم يهتد خالد الطريق فالتمس دليلاً ، فدُل على رافع ابن عميرة الطائي ، فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : انك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغرراً ، انها لخمس ليال جياد ، لا يصاب فيها ماء مع مظلمتها ، فقال له خالد : ويحك انه والله ان لي بد من ذلك ، انه قد أتتني من الأمير عزمه بذلك ... »

ثم شرح الطبري رواية بن اسحق ذاكراً كيف أشار رافع لخالد ان يستكثر من الماء وكيف طلب عشرين جزوراً [٣] عظاماً ، سماناً ، مساناً وكيف انه ظمأهن حتى اذا أجهدت عطشاً أوردهن ، ثم قطع مشافرهن وكممهن [٤] ، فسار خالد على رأس قوته ، فكلما نزل منزلاً افتظ [٥] أربعاً من الجزور والنوق ، فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل الى ان وصلت القوة الى آخر المفازة في سوى ، فدلها رافع على الماء وذكر ما قاله شاعر المسلمين بهذه المناسبة :

---

(١) ابن عساكر ، الجزء الأول ص (١٤١) .
(٢) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٨ : ٦١٠) .
(٣) الجزور : ما يجزر من النوق .
(٤) كمم : شد فم البعير لئلا يأكل .
(٥) افتظ : شق بطن البعير وعصر ماء كرشه وشربه في للفاوز .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لله عينا رافع أنى اهتدت فوز من قُراقر الى سُوَى
خمساً اذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك إنسيٌ يُرَى

ثم ذكر اغارة خالد على أهل سوى وهم من بهراء ، ثم سار خالد على وجهه حتى أغار على بني غسان بمرج راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ....»

٣ — رواية سيف بن عمر [١] :

«فوافى خالداً كتابُ ابي بكر بالحيرة ، منصرفه من حجه أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك» . وبعد ماذكر سيف توافي جموع المسلمين باليرموك ونزولهم في (الواقوصة) قال :

«وأمر أبو بكر خالداً أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، فاذا فتح الله على المسلمين فارجع الى عملك بالعراق ..» ثم قال : «ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً الى دومة الجندل ، ثم ظعن في البر الى قراقر ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان أستقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ؛ فكلهم قال لا نعرف الا طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذ الراكب ، فاياك ان تغرّر بالمسلمين فعزم عليه ولم يجبه الى ذلك الا رافع بن عميرة على تهيب شديد ..»

ثم ذكر سيف قيام خالد بالمسلمين خطيباً وشحذه لهمتهم حتى وافقوه على المسير . وبعد ماذكر رواية محمد بن اسحق عن انتقاء الابل الشرف وارواثها وكعمها ... قال : «ثم ركبوا من قراقر مفوزين الى سوى وهي على جانبها الآخر مما يلي الشام . فلما ساروا يوماً اقتضوا لكل نجدة من الخيل عشراً من تلك الابل ، فخرجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ، ثم سقوا الخيل وشربوا للشفة جرعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام ..» .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص (٦٠٢ : ٦٠٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وذكر سيف بعد ذلك رواية مُحرز بن جَريشي المحاربي اذ قال خالد اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه نُفْضِ الى سوى .

ثم ذكر عثور المسلمين على الماء في سوى واغارة خالد من سوى على مضيخ بهراء ... وانهم لفارون وان رفقه لتشرب حتى وجه الصبح وساقيهم يغنيهم ويقول :

الا صباحاني قبل جيش ابي بكر

فضربت عنقه ، فاختلط دمه بخمره .. حتى قال : « ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتساخه وغارته على مضيخ بهراء وانتساخها فاجتمعوا بمرج راهط . وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق ، فصار بينهم وبين اليرموك صمد لهم ، فخرج من سوى فنزل الرمانتين ، علمين على الطريق ، ثم نزل الكثب . حتى صار الى دمشق ثم مرج الصفر ، فلقي عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ؛ ثم خرج من المرج حتى ينزل بقناة بصرى ... » .

٤ -- رواية ابي يوسف بن يعقوب [1] .

نقل ابو يوسف روايته من محمد بن اسحق وغيره من أهل العلم بالفتوح والسيرة وبعضهم يزيد في الحديث على بعض . وبعد ان ذكر قدوم خالد من اليمامة وفتحه للعراق قال : « وكان خالد أراد أن يتخذ الحيرة داراً يقيم بها ، فأتاه كتاب أبي بكر يأمره بالمسير الى الشام مدداً لأبي عبيدة ، فتوجه من الحيرة مع الأدلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المفاوز .. » ويشير بعد ذلك الى ان خالداً بعد قطعه المفاوز أغار على بني تغلب حتى أتى (النُقَيْب والكوائل) ، ثم مر بعانات حتى أتى الى قرقيسيا . ثم قال : « وسبى خالد في مخرجه من الحيرة الى ان انتهى الى دمشق ألف رأس وقالوا خمسة آلاف ... » .

(١) كتاب الخراج ص (١٦٩) وبعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ — رواية الهيثم بن عدي كما ذكرها ابن قتيبة [١] :

قال ابن قتيبة : «حدثني أبي احسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب ابو بكر الى خالد بأمره بالمسير الى الشام واليا مكان ابي عبيدة ، أخذ على السماوة حتى انتهى الى قُراقر وبين قُراقر وسُوى خمس ليال في مفازة ، فلم يعرف الطريق ، فدُل على رافع بن عميرة الطائي وكان دليلاً خريتاً [٢] فقال لخالد خلف الأثقال واسلك هذه المفازة ان كنت فاعلاً ، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال لا بد من أن نكون جميعاً» . ثم ذكر الهيثم رواية ابن اسحق وقال في آخر الرواية ان خالداً لما مر بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جفنة واحدهم يتغنى :

الا عللاني . . . . . .

ثم أقبل على أهل البشر فقتل منهم وأصاب .

٦ — رواية الواقدي كما ذكرها البلاذري [٣] :

«وقال الواقدي خرج خالد من سُوى الى الكواثل ، ثم أتى قرقيسيا ، فخرج اليه صاحبها في خلقٍ فتركه وأغار الى البر ومضى لوجهه ، وأتى (أرَك) فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً . وأتى (دومة الجندل) ففتحها ، ثم أتى (قُصم) فصالحه بنو مشجعة ، ثم أتى (تدمر) فامتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان . . . ثم أتى (القريتين) فقاتله أهلها فظفر وغنم ، ثم أتى (حُوّارين) من (صنير) فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى وهي مدينة حوران فظفر بهم ، فسبى وقتل ثم أتى (مرج راهط) فأغار على غسان في يوم فصحهم . . ووجه خالد بن بسر بن

(١) عيون الأخبار ، الجزء الأول ص (١٤٢) .
(٢) الخريت : الدليل الحاذق الذي يهتدي الى المفاوز .
(٣) فتوح البلدان ص (١١٩) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابي أرطأة العامري وحبيب بن مسلمة الفهري الى غوطة دمشق ؛ فأغار على قرى من قراها وصار خالد الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب ... » وبعد أن ذكر نزول خالد بالباب الشرقي من دمشق أو بباب الجابية وتقديم أسقف دمشق له نزلاً وخدمةً قال ... « ثم سار خالد حتى انتهى الى المسلمين وهم بقناة بصرى .. »

٧ — رواية المدائني كما ذكرها الطبري [١] :

« فوجه ابو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء بالشام ، ضمهم اليه فشخص اليه خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في خمسمائة . واستخلف على عمله المثنى بن حارثة ، فلقيه عدد بصندوداء ، فظفر بهم ... ولقي جمعاً (بالمُصَيَّخ والحُصَيِّد) عليهم ربيعة بن بجير التغلبي فهزمهم وسبى وغنم وسار ففوز من فُراقر الى سُوى ، فأغار على أهل سُوى واكتسح أموالهم . وقتل حرقوص بن النعمان البهرائي ثم أتى أرك وأتى تدمر فتحصنوا ، ثم صالحوه ، ثم الى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم وأتى حُوّارين فقاتلهم ، فهزمهم وقتل وسبى . وأتى مُصَمّ فصالحه بنو مشجعة من قضاعة . وأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحيم . . »

٨ — ما ذكره البلاذري [٢] :

ولعل الرواية رواية المدائني نفسها ، قال البلاذري :

« وقالوا : لما أتى خالدَ بن الوليد كتابُ أبي بكر وهو بالحيرة خلف المثنى ابن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة . وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في ستمائة ويقال في خمسمائة ، وأتى عين التمر ففتحها عنوةً . ويقال ان كتاب ابي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها فسار خالد

(١) الطبري . الجزء الثاني ص (٦٠١) .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص (١١٨) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من عين التمر فأتى صَنْدوداء وبها قوم من كندة واياد والعجم فقاتله أهلها . وبلغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمُصيخ والحُصيد مرتدون عليهم ربيعة بن بجير فأتاهم ، فقاتلوه ، فهزمهم ..... ثم أغار خالد على قُراقر وهو ماء لكلب ، ثم فوّز الى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً وفيه قوم من بهراء . فقتل حرقوص بن النعمان البهرائي من قضاعة واكتسح أموالهم ... » . ثم ذكر كيف عمد خالد الى الرواحل فأرواها قبل ركوبه المفازة وكيف قطع مشافرها لئلا تجتر ، فتعطش ثم استكثر من الماء . وحمله معه وجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها .... الى أن قال وكان المسلمون لما انتهوا الى سُوى وجدوا حرقوصاً وجماعة يشربون ويتفننون وحرقوص يقول : ألا عللاني .....

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيل في الجفنة التي كان فيها شرابه .. وقال بعض الرواة ان المغني بهذا البيت رجل ممن كان أغار عليه من بني تغلب مع ربيعة بن بجير .. »

٩ — ما ذكره اليعقوبي [1] :

قال اليعقوبي « ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يسير الى الشام ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق ، فنفذ خالد من أهل القوة ممن كان معه وتخلف المثنى بن حارثة مع بقية الجيش بالعراق . وسار خالد الى الشام فلما صار الى عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن ابي هلال النمري ، فتحصنوا ثم نزلوا على حكمه ، ثم سار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهذيل بن عمران .... وصار الى الأنبار ، فأخذ دليلاً يدله على طريق المفازة ، فمر بتدمر فتحصن أهلها ، فأحاط بهم ففتحوا له وصالحهم . ثم مضى الى حوران (حوارين) فقاتلهم قتالاً شديداً .

(١) تاريخ اليعقوبي ص (١١٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقيل ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافى المسلمين فافتتحوا بصرى واجنادين » . ثم قال : « وروى بمضهم ان خالد بن الوليد صار الى غوطة دمشق ، ثم فرعنها الى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى العقاب ، فبها سميت ثنية العقاب وصار الى حوران فقصد مدينة بصرى » .

١٠ — ماذكره ابن عساكر في تاريخه من الروايات[1] :

آ — رواية مصعب بن عبد الله : « لما سار خالد يريد دومة الجندل أخذ المفاوز واستأجر رافعاً واشترى خمسين شارفاً[2] فكبتها وأوجرها وسقاها عللاً ونهلاً ، فكلما نزل منزلاً نحر وجعل أكراشها على النار وشرب القوم منها حتى اذا شارفوا رمد رافع ..... الى آخر الرواية » .

ب — رواية اسحق بن فدوة : « ان خالداً ومن معه هبطوا ثنية الغوطة التي بقرب عذرا وهي مشهورة » .

ج — رواية ابن اسحق : « وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد فسار الى الشام ، فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل على قناة بصرى » . وفي رواية أخرى لابن اسحق : « خرج خالد من العراق حتى نزل عين التمر وأغار على أهلها ثم سار على نحو ما تقدم في رواية ابن اسحق التي أثبتناها قبلاً ... الى ان يشير في آخر الرواية انه لما نفذت الابل التي سقاها خالد وربط أفواهها خاف العطش فقال لرافع وهو أرمد ويحك ماعندك ، قال أدركت الري ، هل ترى علمين كأنهما توأمان . وذكر بعد ذلك كيف وجدوا الماء في سوى ثم قال : « واستقام بخالد الطريق وتواصلت به المياه حتى اذا أغار على مرج العذراء وبه أناس من غسان . »

د — رواية اللالطائي : قال « كتب ابو بكر لخالد أن ينصرف من العراق بثلاثة آلاف الى الشام ، فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج الى (ضمير)

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٢٠) .
(٢) شرفت الناقة أي صارت مسنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فوجد المسلمين معسكرين بالجابية وتسامع الأعراب في مملكة الروم ففزعوا له »
ويقول ابن عساكر هذه رواية اللالطائي والبيهقي . وأضاف ابن عساكر قائلاً [١] :
« وكتب ابو بكر الى خالد أما بعد فدع العراق وخلف أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه ، ثم امض مخففاً في أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين . وإن التقيتم فأنت أمير الجماعة » .

١١ — ما ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل [٢] :

« لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد يأمره بالمسير اليهم والحث وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى ابن حارثة . . . . . الى ان قال : وقيل ان خالداً سار من العراق في ثمانمائة وقيل في خمسمائة وقيل في تسعة آلاف وقيل في خمسة آلاف ، ثم ذكر وقعة المُصيخ وقتاله فيه لجماعة من تغلب ، ثم أشار الى تفويز خالد من قراقر الى سوى كما رواها الطبري نقلاً عن سيف بن عمر وجعل مسير خالد بعد سوى على إرك وتدمر والقريتين وحُوارين وقصم وثنية العقاب ، الى ان ذكر اغارة خالد على غسان في يوم فصحهم في مرج راهط ووصوله الى بصرى وقال في الأخير ان خالداً طلع على المسلمين في ربيع الآخر .

١٢ — ما ذكره الذهبي في كتابة تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام [٣] :

وبعدما أورد الذهبي ما ذكره الطبري في تاريخه ذهاب خالد من العراق الى الحج متكتماً ومعاتبة أبي بكر له حينما علم ذلك ومعاقبته له بصرفه الى الشام ويأمره بنجدة المسلمين في اليرموك قال : « وقلت انما جاء الكتاب بأن يسير

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٣٨) .
(٢) تاريخ ابن الأثير ، الجزء الثاني ص (١٥٦) وما بعدها .
(٣) الذهبي ، الجزء الأول ص (٣٧٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة ..... ثم قال : « فسار خالد الى الشام فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل في قناة بصرى وقدم أبو عبيدة وصاحباه ، فصالحوا أهل بصرى فكانت أول ما فتح من مدائن الشام وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر » .

لم يشر الذهبي الى تفويز خالد من قُراقر الى سُوى انما ذكر ان خالداً سار الى مكة ومعه جماعة تعتسف البلاد ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل فسار طريقاً من طرق الحيرة لم ير قط أعجب منه ولا أصعب .. » . يتضح من ذلك ان الذهبي خلط خبر تفويز خالد برحلته الى مكة حاجاً .

١٣ — ما ذكره ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية [1] :

« وبعث الصحابة الى الصديق يستمدونه بعد نزولهم في الواقوصة ، قريباً من اليرموك ، فكتب الصديق الى خالد ان يستنيب على العراق وان يقفل بمن معه الى الشام ، فاذا وصل اليهم فهو الأمير عليهم ، فاستناب المثنى بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة ودليله رافع بن عميرة الطائي ، فأخذ به على السماوة حتى الى قُراقر وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد .... » ... الى ان قال : « ووصل في خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وإرك ، ولما مروا بعذراء أباحها وغنم لغسان أموالاً عظيمة وخرج من شرقي دمشق ثم سار حتى وصل الى قناة بصرى » .

١٤ — ما ذكره ابن خلدون في تاريخه المبتدأ والخبر [2] :

وبعد ان ذكر ابن خلدون خروج خالد من العراق حاجاً متكتماً وذهابه متعسفاً في البلاد وعودته الى الحيرة بعد الحج وعلم ابي بكر بحجة خالد ومعاقبته له أن صرفه من غزو العراق الى الشام ذكر في صفحة ٨٤ :

---

(١) ابن كثير ، الجزء السابع ص (٧) .

(٢) ابن خلدون ، الجزء الثاني ، ص (٧٨) وما بعدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث اليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في السير اليهم ، فنفذ خالد ذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان والروم أيضاً » .

١٥ – وأخيراً نذكر ما أورده الواقدي المزعوم في كتابه فتوح الشام وهو كتاب متأخر استند مؤلفه الى بعض روايات الواقدي واقتبس روايات أخرى وأضاف اليها من مخيلته وقائع مثيرة للحماسة ومستفزة للحمية ، فأخرج كتاباً حماسياً يقوي النفوس ويشحذ العزائم . وعلى الرغم من أن كتابه هذا لا يعتبر من الكتب التاريخية الوثيقة ، لكنه يتضمن بعض المعلومات الصحيحة ، لهذا لا بد لمن يدرس أخبار الفتوح من الرجوع الى هذا الكتاب .

قال الواقدي المزعوم[1] :

« وتوجه خالد بعد استلامه كتاب ابي بكر ، فلما وصل السماوة قال أيها الناس ، ان هذه الأرض لا تدخلونها الا بالماء الكثير . . . . . » ثم ذكر خبر رافع بن عميرة وارواء الابل وشق بطونها وضرب رافع على راحلته يميناً وشمالاً يبحث عن الماء وعثوره عليه . . . » وأخيراً قال : « انهم فتحوا السخنة وإركه رأس الامانة لمن يخرج من العراق والروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق . . . . . ثم ارتحل الى حوران . . . » .

أوردنا فيما سبق كل الروايات المتيسرة التي عرضت لسفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام . . ويظهر منها ان الروايات جميعها ، باستثناء رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ السفر . وهناك روايات تؤكد ان ابا بكر كتب الى خالد بعد عودته من الحج الى العراق يأمره بالمسير الى الشام ، وقال الذهبي انما جاء كتاب ابي بكر الى خالد بأن يسير الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة . وتكاد الروايات تجمع على أن أمر أبي بكر وافى خالداً بالحيرة .

(١) فتوح الشام ، للواقدي ، ص (١٤ : ١٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد اختلفت الروايات في الطريق التي سلكها خالد . فموسى بن عقبة وابن اسحق وسيف بن عمر والهيثم بن عدي يرون أن خالداً سار على طريق (عين التمر — قُراقر — سُوى — مرج راهط) . وأشار موسى بن عقبة وسيف بن عمر الى أن خالداً مرَّ في طريقه بدومة الجندل ، أما الهيثم بن عدي فذكر أن خالداً سار من السماوة الى قُراقر . وذكر مصعب بن عبد الله دومة الجندل والمفاوز فقط وقد أيد البلاذري هذه الروايات . أما ابو يوسف والواقدي والمدائني واليعقوبي وابن كثير وابن الأثير فذكروا طريقاً آخر . ومن الروايات ما جعلت خالداً يغزو في طريقه بعض الجموع من أهل البادية من تغلب وكلب وبهراء وغيرهم في أماكن متباعدة ، اعترضت طريقه أو انها كانت في جهة بعيدة عن الطريق . ومن الروايات ما جعلت خالداً يقضي كثيراً من الوقت في محاصرة المسالح والهجوم على المواقع المحصنة . ومنها ما جعلت خالداً يسير على طريق ملتوٍ يشرق تارةً ويغرب تارةً أخرى ، ويتوجه الى الشمال حيناً وينزل الى الجنوب حيناً آخر ، والذي يتفحص هذه الروايات بامعان يبدو له أن أولئك الرواة أخطأوا في سلسلة الوقائع وقدموا تاريخ بعض الحوادث وأخروا تاريخ البعض الآخر ، فأدخلوا بعض فتوحات خالد التي جرت بعد سنة ثلاث عشرة في ديار الشام في ضمن الحوادث التي وقعت في سفره من العراق الى الشام ؛ كما أنهم أدخلوا بعض فتوحات خالد في العراق التي وقعت قبل سفره في حوادث رحلته الى الشام . لذلك ارتبك عليهم الأمر وجعلوا خالداً يسلك طرقاً بعيدة المنال .

وقبل أن نستقصي أخبار هذه الروايات ونقارن بينها وتجريدها مما غشيها من أخبار وقعت قبل سفر خالد وبعده يجدر بنا أن نتثبت من ثلاثة أمور لأن الاستناد اليها يسهل لنا الوصول الى الحقيقة .

الأمر الأول : أرسل أبو بكر خالداً الى الشام مدداً وغوثاً للمسلمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاستمدادهم له . وتكاد الروايات جميعها تؤيد هذا ولا عبرة لما ورد في بعض الروايات أن أبا بكر صرف خالداً من حرب العراق معاقبةً له .

الأمر الثاني : ان ابا بكر استحث خالداً في السير الى المسلمين ، ذكر ذلك سيف بن عمر ، كما رواه الطبري [1] والرواية كما يلي :

« ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر قال : خالد لها ، فبعث اليه وهو بالعراق وعزم عليه واستحثه في السير ، فنفذ خالد لذلك ، فطلع عليهم خالد وطلع باهان على الروم » .

وذكر ذلك أيضاً المؤرخون المتأخرون ابن عساكر وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون .

الأمر الثالث : أغار خالد على الغسانيين ببرج راهط في يوم فصحهم . روى ذلك الواقدي والمدائني وأيده ابن الأثير .

(يتبع) طه الهاشمي

(١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٥٩١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net